وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

أثر هدايات القرآن الكريم في بناء القيم الإنسانية

(قيمة العدل نموذجًا)

دراسةٌ تأصيليةٌ تحليليةٌ

اسم الباحث/ـة

د/ رمضان محمد عبد المعطي علي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن العدل قيمة إسلامية من أعظم القيم التي بها يُبنى الإنسان الصالح، وتقوم عليها الحضارات، وقد ورد العدل في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، يجب أن يقف عندها المسلم متأمّلًا ودارسًا؛ حتى يستخرج منها الفوائد والعبر، وقد ميز الله تعالى الإنسان عن غيره من الكائنات التي تعيش معه بأنه كائن أخلاقى، أي: مدرك للقيم الخلقية، وقادر على الإتيان بها.

وقد شاء الله تعالى أن تقوم حياة المجتمع الإنسانيّ على أساس معياري من القيم، يعكس حياة معنوية يمثلها الأفراد، تتميز بالقوة والأصالة، وهذا البناء المعياري هو قواعد وضوابط من خلالها يُحكم على السلوك بأنه مقبول أو غير مقبول، وتشكل فى النهاية نوعًا من التحديات الثقافية للسلوك المرغوب فيه، وتعطي الفرد ـ كما تعطي المجتمع ـ شكله وشخصيته وهويته، وهذا كله يحتويه معنى القيم الخلقية.

وتعدّ الأخلاق صورة المجتمع؛ لأنها الضابط والمعيار، وهي الموقف الأساسي للسلوك الفردي والاجتماعي، وهي القواعد الأساسية الممنوحة من الله تعالى للإنسان؛ لتنظيم حياته، وهي تنتظم فيما يسمى بالبناء الخلقي الذي يعكس أهداف المجتمع، ومصادر تكوينه، وطبيعة بنائه.

لقد تعرّض العالم المعاصر لموجة عاتية من الاهتزازات الخلقية المتناقضة، وتتمثل في مظاهر متضاربة ومتناقضة من الممارسات السلوكية، الفردية والاجتماعية التي تسلب الأفراد والجماعات السعادة والأمن والأمان والاستقرار، بل تضعف العلاقات في ميادين الحياة المختلفة، ولقد أعطت التسهيلات المادية التكنولوجية الحديثة هذه الهزات والفجوات صفة العالمية، ولم يعد بمقدور مجتمع ما إغلاق منافذه أمامها أو النجاة منها.

إن الحياة الإسلامية ترتبط ارتباطًا كليًّا بالقرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة؛ حيث إن مصادر اشتقاق أي نظام ملائم وموافق للحياة الإسلامية إنما يكون من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومن ثَمَّ فإن اشتقاق النظام الخلقي في الإسلام يكون مرجعه القرآن الكريم والسنة المطهرة، فالقرآن الكريم كتاب الإسلام الخالد المحفوظ بقدرة الله تعالى، وفيه تنظيم لكافة جوانب الحياة، محددة بصورة بليغة ودقيقة، أما السّنّة المطهرة فهي ترجمة صادقة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس هناك إنسان في التاريخ البشري كله نُقلت حياته بصورة تفصيلية مثلما نُقلت حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

والعدل من أعظم قيم الإسلام وأخلاقه، فبه قامت السموات والأرض، ومن أجله أنزل الله تعالى الكتب، وأرسل الرسل، وبدونه تختلّ موازين الحياة، ويسود الظلم والقتل والفساد، ويقلّ الخير والصلاح، وتضيع الأخلاق، وتفسد الذرية، ومن هنا ركز البحث على قيمة العدل، خلقًا أصيلًا في الإسلام من خلال الهدايات القرآنية.

قضية البحث المحورية:

إن العلاقة الوطيدة بين قيمة العدل وبناء الإنسان، ومن هنا يجب بيان هديِ القرآن الكريم في إرساء قيمة العدل في جميع جوانب الحياة، وهو ما يسعى إلى إثباته البحث.

أهداف البحث:

أولًا: بيان ماهية العدل، وأثره في حياة الإنسان، وحفظ كرامته.

ثانيًا: استخلاص أهمية العدل في البناء الأخلاقي والقيمي، من خلال هدايات القرآن الكريم.

ثالثًا: استنتاج آثار العدل في حياة الإنسان والحضارات، من خلال هدي القرآن الكريم.

رابعًا: بيان أثر الهدايات القرآنية في إصلاح المجتمع الإنساني، ونهضته وحضارته.

منهج البحث:

سيتبع الباحث في بحثه هذا المنهج الاستقرائي، حيث سيقوم باستقراء الآيات التي بها أمر بالعدل أو القسط، أو تشتمل على النهي عن الظلم، ثم المنهج التحليلي؛ وكذلك المنهج النقدي أحيانًا.

الإضافة العلمية للبحث:

يبين البحث أثر قيمة العدل في البناء القيمي في الإسلام، وذلك من خلال هدي القرآن الكريم وبيانه؛ للمساهمة في تأسيس نظرية خلقية من خلال الهدايات القرآنية؛ لينتفع بها الناس في كل زمان ومكان.

خطة البحث:

يشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث ،وخاتمة ونتائج، على النحو التالي:

مقدمة: وفيها: أهمية البحث وفرضيته، ومشكلته، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: وفيه: مفهوم العدل وأهميته في البناء القيمي في الإسلام.

المبحث الأول: وفيه: قيمة العدل في الهدايات القرآنية.

المبحث الثاني: وفيه: أثر قيمة العدل في بناء الإنسان وحفظ إنسانيته.

المبحث الثالث: وفيه: أثر غياب قيمة العدل في حياة الإنسان، من خلال الهدي القرآني.

الخاتمة والنتائج.

والله الموفق والمستعان.

تمهيد

مفهوم العدل وأهميته في البناء القيمي في الإسلام:

قبل الحديث عن العدل قيمةً خلقيةً في الإسلام، لابدَّ من بيان مفهومه من حيث اللغة والاصطلاح، ثم الحديث بعد ذلك عن أهميته في البناء الخلقي في الإسلام، من خلال هدايات الكتاب العزيز،

وهو ما سيتم تناوله في الفرعين التاليين:

الفرع الأول: مفهوم العدل:

العدل لغة مصدر عدل يعدل عدلًا، وهو مأخوذ من مادّة: (ع د ل) الّتي تدلّ- كما يقول ابن فارس- على معنيين متقابلين: **أحدهما:** يدلّ على الاستواء،

والآخر: على اعوجاج، ويرجع لفظ العدل هنا إلى المعنى الأوّل، وإذا كان العدل مصدرًا، فمعناه: خلاف الجور، وهو ـ العدل ـ ما قام في النّفوس أنّه مستقيم، وقد يستعمل هذا المصدر استعمال الصّفات، فيقال: رجل عدل، والعدل من النّاس: المرضيّ المستقيم الطّريقة، ويستوي في هذا الوصف المفرد والمثنّى والجمع، والمذكّر والمؤنّث.

والعدل: الحكم بالاستواء. يقال للشيء يساوي الشيء: هو عدله. وعدلت بفلان فلانًا، وهو يعادله [1]. وفلان من أهل المِعْدَلَةِ، أي من أهل العَدْلِ. ورجلٌ عَدْلٌ، أي رِضاً ومَقْنَعٌ في الشهادة. وهو في الأصل مصدرٌ. وقومٌ عَدْلٌ وعُدولٌ أيضًا، وهو جمع عَدْلٍ وقال الفراء: العَدْلُ بالفتح ما عادَلَ الشئ من غير جنسه. والعدل بالكسر: المِثْلُ. تقول: عندي عِدْلُ غلامِك وعِدْلُ شاتِكَ،

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ//١٩٧٩م، ٤/٢٤٦، ٢٤٧.

إذا كانَ غلاماً يَعْدِلُ غلاماً وشاةً تعدل شاةً [١].

والعدالة والعدولة والمعدلة والمعدلة، كله: العدل. وتعديل الشهود: أن تقول إنهم عدول. وعدل الحكم: أقامه. وعدّل الرجل: زكاه. والعدلة والعدلة: المزكون، وإذا مال شيء قلت: عدلته أي: أقمته، فاعتدل أي: استقام [٢].

والعِدْل: نصف الحمل؛ أي حِمل معدول بمساو له، وَعدل الرجلَ -كضرب-: ركب معه في المحمل فوازنه، وعَدل الشخصُ الحمل: وازنه بما يساوي، ومنه كان العِدل – بكسر العين وفتحها – والعديل: المثل والنظير، وفرقوا بين العدل – بكسر العين وفتحها – فكان ما يدرك بالحواس عِدْلا – بالكسر وما يدرك بالبصيرة عَدْلاً – بالفتح – وفعله – كضرب –، والمصدر العَدل والعَدالة والعُدولة والمِعدلة [٣].

والعدل اصطلاحًا هو: الأمر المتوسِّط بين الإفراط والتفريط [٤]، ومضاده: الظلم، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، يقال ظلم الشعر إذا ابيض في غير أوانه، وقيل هو: التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور [٥]، وقيل:

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ// ١٩٨٧م، ٥/١٧٦٠، ١٧٦١.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ، ١١/٤٣١، وما بعدها.

(٣) مخطوطة الجمل – معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨م، ٣/١٠٦.

(٤) التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ// ٢٠٠٣م، ص١٤٤.

(٥) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، ص٧٣.

العدل هو التزام الصدق في القول والفعل، وإعطاء الحق لصاحبه، وعدم التعدي على الغير بغير وجه حق، في ماله ونفسه وعرضه[١]، قال الإمام ابن حزم: "حدُّ العدل أن تعطي من نفسك الواجب، وتأخذه، وحدُّ الجور أن تأخذه ولا تعطيه" [٢].

الفرق بين العدل والعدالة والمساواة:

فرّق بعض القانونيين بين العدل والعدالة، فقالوا: العدل هو إعطاء كل مستحق استحقاقه بدون زيادة أو نقصان، والعدالة الحكم بإعطاء الشخص أكثر أو أقل مما يستحقه لاعتبارات إنسانية، وهذا خطأ، فالعدالة مشتقة من العدل، والمشتق منه يبقى محتفظًا بمعناه، وأما إعطاء الشخص أقل أو أكثر مما يستحق؛ لاعتبارات إنسانية فهو إحسان، وقد عطف الله تعالى بين العدل والإحسان لبيان المغايرة بينهما [٣].

أما المساواة فهي الغاية الّتي تسعى العدالة إلى تحقيقها، وهي الغاية المرجوّة منها، والعادل- في مجال الحكم- هو الحاكم بالسّويّة لأنّه يخلف صاحب الشّريعة في حفظ المساواة، وإذا كانت العدالة خلقًا فإنّ المساواة قيمة وهدف، ولما كانت العدالة خلقًا أو هيئة نفسانيّة تصدر عنها المساواة فقد اقترن الأمران، وارتبطا ارتباطًا وثيقًا؛ لأنّ العادل من شأنه أن يساوي بين الأشياء الّتي هي غير متساوية، ولما كان الأمر كذلك فإنّ كليهما قد يستعمل استعمال الآخر؛ تسامحًا، ولكنّهما غالبًا

---

[١] تقرير الإسلام للعدل بين الأفراد والدول، عبدد الله بن إبراهيم العريني، بحث منشور بمجلة العدل العدد: ١، محرم ١٤٢٠هـ، ص١٠٢.

[٢] الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ// ١٩٧٩م، ص٣٣.

[٣] معين القضاة لتحقيق العدل والمساواة، مصطفى إبراهيم الزلمي، دار إحسان للنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٣٥هـ//٢٠١٤م، ص١٣٩.

ما يستعملان معًا [١].

فالعدل فعل ما يجب، والتفضل الزيادة على ما يجب، وكيف يصح تصور الزيادة على شيء هو غير حاصل في ذاته؛ ولهذا قيل: لا يستطع الوصول من ضيع الأصول، فمن شغله الفرض عن الفضل فمعذور، ومن شغله الفضل عن الفرض فمغرور، وقد أشار الله تعالى بالعدل إلى الأحكام، وبالإحسان إلى المكارم بقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[٢] [٣].

الفرع الثاني: أهمية العدل في البناء القيمي في الإسلام:

جاء الإسلام الحنيف وفي جوهر مقاصده بقاء الإنسان ناهضًا بتبعاته يسعد بحياة آمنة لا يرى فيها ظلمًا ولا هضمًا،

"فالعدالة والإنصاف والقسطاس سمة الحياة في الإسلام، والاستقامة ورعاية الحقوق وأداء الواجبات هي الأمل والعمل والسبيل والهدف، وإن الإنسانية في مسيرتها عبر التاريخ في الزمان والمكان لم تعرف دعوة إلى العدل كما عرفتها في ظل الإسلام؛ ليستقر المجتمع الدولي، ويعيش في أمن وأمان"[٤].

---

(١) ينظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، د.ت، ص١٣٧، ١٣٨، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة، د.ت، ٢٧٩٥/٧، ٢٧٩٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ//٢٠٠٧م، ص٨٥.

(٤) ينظر: مفهوم العدل في الإسلام، مجيد خدوري، دراسات في الفكر الديني، دمشق، ١٩٩٨م، ص١٣١.

"فالإسلام نظام عالمي وديني كوني جاء لجميع الناس في كل العصور، ولم يحدث أن أقرّ الإسلام آية تفرقة بسبب اللون أو الوطن أو الثقافة أو الطبقة، فكل مؤمن بالحقيقة مسلم يتمتع بالأخوة الإسلامية مع كافة الناس في كل عصر ومصر، وهذا هو سرّ قوة الإسلام".

فالإسلام دين يرفض كل أشكال الاستعلاء على الخلق والتكبر والتمييز العنصري البغيض الذي ينقص من آدمية الإنسان وتكريمه الرباني، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2]. وإن من الشروط التي يشترطها الإسلام للتقدم في مجالات الكمال الإبداعي شرط كمال التعايش الجماعي، ويقصد بالتعايش الجماعي الصورة العامة التي يعطيها مجتمع من المجتمعات الإنسانية، عن العلاقات المختلفة السائدة بين أفراده. ولا بد ملاحظة أنّ من أهم عناصر كمال التعايش الجماعي سيادة العدل والنظام والرخاء، والأمن والطمأنينة والمحبة والإخاء، ومن عناصره أيضًا كفالة ذوي الضرورات والحاجات، والتعاون بين أفراد المجتمع؛ لتحقيق الكمالات المختلفات؛ ولتحقيق حاجات الشركاء في ظروف الحياة الاجتماعية، سواء أكانت هذه الحاجات حاجات جسدية أم نفسية، مادية أم معنوية، والعمل على توفير أسباب السعادة والرفاهية والهناء لكل فرد من أفراد الجماعة.

فالعدل يأتي في قمة الهرم الخلقي والبناء القيمي في الإسلام؛ لما له من أهمية عظمى وقيمة سامية في سلامة المجتمع من الآفات المهلكة، وأولها الظلم، قيمة لا غناء للناس عنها، بها يسود الوئام والحب والرحمة بين الناس، وتتحقق الحياة

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

الهائئة والهادشة للمجتمع، في غيابها تضيع القيم، ويسطو القوي على الضعيف والغني على الفقير والراعي على الرعية، والحاكم على المحكوم.

والمتتبع للآيات القرآنية في هداياتها يجد آيات كثيرة تؤصل لفضيلة العدل، وأخرى تحذر من رذيلة الظلم، ومن هنا فإن القرآن الكريم قد بنى منظومة العدل في المجتمع في مجال الاقتصاد والاجتماع والأسرة والسياسة، حتى في مجال الحرب غلب الإسلام جانب العدل في منظومته الخلقية العظيمة.

لقد جعل القرآن العدل أساسًا لقيام الحضارات والنهضة الإنسانية، من خلال بنائه للقيم الخلقية في الرؤية التوحيدية التي جعلها الأساس المتين لبناء الشخصية الحضارية الفاعلة، حيث ارتقى بتصرفات الإنسان ووحدتها من خلال الارتقاء بتصوره الكوني ورؤيته التوحيدية التي لا انفصام لها ولا ثغرات فيها، إذ ينسجم العقل مع النقل، ويتعانق الجسم مع الروح وتتعاون الشهوات مع الأشواق، وتنساب الدنيا مع الآخرة دون أي تعارض أو تناقض، وفي هذا الطريق المستقيم تتكامل المعارف الطبيعية والإنسانية وتتضافر علوم الوحي وعلوم الكون.

المبحث الأول: قيمة العدل في الهدايات القرآنية:

العدل قيمة سامية من أعظم قيم الإسلام وخصائصه، وهو من أخلاق المسلمين في أقوالهم وأفعالهم وأحكامهم وتعاملاتهم مع أنفسهم، ومع الآخرين، فالعدل قيمة حضارية أرسى قواعدها الإسلام، وقد فرضها الله تعالى على عباده، وجعلها اسمًا من أسمائه، وحرم نقيضها على نفسه، وهو الظلم، وعلى هذا الخلق قامت السموات والأرض، وأنزلت الكتب وأرسلت الرسل؛ وجعله الله غاية من غايات بعثات الأنبياء عليهم السلام.

والمتتبع لأحداث التاريخ يرى أن الفترات التي حكم فيها كتاب الله وحدها هي التي ذاق فيها الناس طعم القسط، واستقامت حياتهم استقامة دورة الفلك بقدر ما تطيق طبيعة البشر المتميزة بالجنوح إلى الطاعة والجنوح إلى المعصية، والتأرجح بين هذا وذاك، والقرب من الطاعة كلما قام منهج الله، وحكم في حياة الناس كتاب الله، وأنه حيثما حكم في حياة الناس منهج آخر من صنع البشر، لازمه جهل البشر وقصورهم، كما لازمه الظلم والتناقض في صورة من الصور؛ حيث لا يمكن للشخصية المسلمة أن تعود إلى صناعة الحضارة ما لم تعد إلى تدبر القرآن الكريم.

جاء الإسلام الحنيف وفي جوهر مقاصده بقاء الإنسان ناهضًا بتبعاته يسعد بحياة آمنة لا يرى فيها ظلمًا ولا هضمًا، "فالعدالة والإنصاف والقسطاس سمة الحياة في الإسلام، والاستقامة ورعاية الحقوق وأداء الواجبات هي الأمل والعمل والسبيل والهدف، وإن الإنسانية في مسيرتها عبر التاريخ في الزمان والمكان لم تعرف دعوة إلى العدل كما عرفتها في ظل الإسلام ليستقر المجتمع الدولي ويعيش في أمن وأمان" [1].

لقد جعل القرآن قيمة العدل أساس الملك، وجوهر التعايش السلمي في المجتمع، وصمان أمان لتحقيق الأمن المجتمعي، وهو أمر تقتضيه الحضارة

[1] انظر: مفهوم العدل في الإسلام، مجيد خدوري، مرجع سابق، ص١٣١.

والعمران والتقدم، وتشيد به كل العقول، وأصل من أصول الحكم في الإسلام، ولا بد للمجتمع منه حتى يأخذ الضعيف حقه، ولا يبغي القوي على الضعيف، ويستتب الأمن والنظام، وأجمعت الشرائع السماوية على وجوب إقامة العدل، فعلى الحاكم وأتباعه من الولاة والموظفين والقضاة التزام العدل، حتى تصل الحقوق لأهلها، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الأمر بالعدل، منها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[1] ومنها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ ﴾[2].

ومنها قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾[3]. وأمر الله تعالى به نبيه داود عليه السلام فقال له: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾[4]. ونددالله تعالى بالظلم والظالمين في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢ ﴾[5]. ومنها قوله تعالى: ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ ﴾[6].ومنها قوله عز وجل: ﴿ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥٢ ﴾[7].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٨.
(٤) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.
(٦) سورة الصافات، الآية: ٢٢.
(٧) سورة النمل، الآية: ٥٢.

والعدل في المجال الأخلاقيّ أن يكون للمرء مثل ما لأخيه من الحقوق، وعليه مثل ما عليه من الواجبات، دون زيادة أو نقصان. وبطبيعة الحال يشمل ذلك غير المسلمين؛ لذا جعل النظام السياسي الإسلامي الحكم أمانة يجب تحقيق مفهوم العدالة فيها تطبيقًا وتنفيذًا شرعيًّا، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [1].

ولا شك أن وجود السلطة القضائية المستقلة العادلة النزيهة لهو أكبر الضمانات لمحاكمة تتوافر لها عوامل الحيدة والنزاهة والاستقلال. ومن صور العدل في الحكومة، التسوية في مجلس القضاء والاستماع إلى الخصم غير المسلم، وعدم الضيق بهم والحنق عليهم كما جاء ذلك في توجيهات النظم القضائية الإسلامية، وكما معلوم في سيرة نبي الهدى صلى الله عليه وسلم وسيرة صحابته رضوان الله عليهم أجمعين. فالعدل حصن يلجأ إليه كل خائف، وذلك أنك ترى الظالم وغير الظالم إذا رأى من يريد ظلمه دعا إلى العدل، وأنكر الظلم حينئذ وذمه، ولا ترى أحدًا يذم العدل، فمن كان العدل في طبعه فهو ساكن في ذلك الحصن الحصين [2].

وإذا أحكم الملك قواعد ملكه باستعمال الحزم وبسط العدل ولم يغفل عن الحزم في صغير ولا كبير ولم يترخص في الجور من قليل ولا كثير أحاطت السلامة بملكه وحفت السعادة بدولته فأمن غوائل الفساد وسلم

من ظهور الفساد وكان الناس معه من بين حامد لعدله وإحسانه وحذر من بأسه وسلطانه [3]. وإن لله تعالى اسمًا مشتقًّا من العدل،

---

[1] سورة النساء، الآية: ٥٨.

[2] الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم، مرجع سابق، ص٨٠.

[3] تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص٢٣٣.

وهو الذي لا يظلم الناس مثقال ذرة، وأمر رسوله بالعدل، وعمَّم الأمر بالعدل على جميع عباده والأمة المسلمة لا يشفع لها إسلامها في استحقاق التأييد من الله إذا كانت ظالمة، فمن أسباب التمكين في الأرض، والتأييد من الله، أن يُحال دون تفشِّي المظالم، وأن يعمَّ العدل حياةَ المسلمين، ولذلك يقول ابن تيمية: «إن الله يقيم الدولة العادلة – وإن كانت كافرة – ولا يقيم الدولة الظالمة – وإن كانت مؤمنة" (١).

وتحاشي الظلم من القاضي يكون بفهم الدعوى أولًا، ثم عدم التحيز إلى أحد الخصمين، ومعرفة حكم الله، وتولية الأكفاء. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ﴾(٢) إشارة إلى أنه لا بد من إقامة حاكم يحكم بين الناس بالحق. ثم بيّن الله تعالى فائدة الأمر بالعدل وأداء الأمانة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾(٣) أي نعم الشيء الذي يعظكم به، والمخصوص بالمدح محذوف يرجع إلى المأمور به من أداء الأمانات والحكم بالعدل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾(٤) يبصر ما يحدث منكم من أداء الأمانة وخيانتها، ويسمع ما يكون من حكمكم بين الناس، فيحاسبكم ويجازيكم، فهو أعلم بالمسموعات والمبصرات. ثم أمر الله تعالى بما يدعو إلى أداء الأمانة والتزام العدل، وهو الأساس الثالث للحكم الإسلامي، وهو إطاعة الله بتنفيذ أحكامه، وإطاعة الرسول المبيّن حكم ربه، وإطاعة ولاة الأمور (٥).

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، وساعده: ابنه محمد وفقه الله، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م ، ٢٨/ ١٤٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان) الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ//١٩٩١م، ٥/١٢٤، ١٢٥.

ومهما يكن المظلوم ضعيفًا، فإن الله ناصره، ومن له بالله طاقة حتى يتجرأ على ظلم العباد؟! فقد جاء في الحديث: «... ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزَّتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»، فلا يتجرأنَّ ظالم إن أمهله الله؛ لأن الله ناصر كل مظلوم، ولو بعد حين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾[1]. وتمام العدل حين يكون مع الصديق والعدو، كما علّمنا القرآن الكريم: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[2] [3].

ومن مجالات العدل: العدل الاجتماعي: وهو العدل في توزيع الثروة، وإتاحة الفرص المتكافئة لأبناء الأمة الواحدة، وإعطاء العاملين ثمرة أعمالهم وجهودهم دون أن يسرقها القادرون أصحاب السلطة، فمن لم يطعم المسكين كان من أهل الجحيم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[4]. ولا يكفي أن تطعم المسكين، بل يجب أن تدعو إلى إطعامه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾[5]. والمجتمع الجاهلي مذموم لضياع الفئات الضعيفة فيه وانشغال الأقوياء بأكل المال: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾[6]. فعلى الدولة أن تتخذ الوسائل لمساعدة الفقراء، ولو كانوا من غير المسلمين.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٨.

(٣) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا، لأبي أسامة، محمود محمد الخزندار (ت ١٤٢٢هـ)، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ// ١٩٩٧م، ص٢٣٣، وما بعدها.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٤٤.

(٥) سورة الماعون، الآيات من: ١-٣.

(٦) سورة الفجر، الآيتان: ١٧-١٨.

والإسلام يأمر بالعدل في القول فلا يخرجه الغضب عن قول الحق ولا يدخله الرضا في قول الباطل قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[1]. ويأمر بالعدل في الشهادة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾[2]، ويأمر بالعدل في الحكم: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾[3].

"فالإسلام ينظر إلى الرعايا الذين يُحكَمون بالظلم ويُقيدون في حرياتهم نظرة رحيمة عاطفة، ينصرهم إذا استنصروه، ويرفع عنهم نير الطغيان إن هم استعانوا به "[4]،

يقول صاحب كتاب نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين: "تشير المعاملة الإسلامية لغير المسلمين في ظل دولة الإسلام الحق والقانون والحماية إلى تميز الحكم الإسلامي بصيانة الحقوق والأخلاق ودفع الظلم وإنجاز كل ما فيه خير للفرد والأمة في الحاضر والمستقبل" [5].

لقد قامت شرعة الإسلام على العدل ومحاربة الظلم، فنجد الكثير من الآيات القرآنية تلحّ على منع الظلم، والتحذير منه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[6]. وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[7]. وقد عبر القرآن عن العدل بكلمتين هما: العدل والقسط، وكلتاهما بمعنى واحد، وهو الإنصاف والاعتدال، والأمر العظيم الذي أتى به الإسلام أنه

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٤) العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٨٣.
(٥) نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين، ١٣/١.
(٦) سورة آل عمران، من الآية: ٥٧.
(٧) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

جعل من صفات الله عز وجل الذي يعبده الناس العدل، ولا نجد هذه الصفة لله تعالى في مفهوم اليهود ولا النصارى، فهو عز وجل في المفهوم الإسلامي العادل المطلق، ومن أسمائه: المقسط أي: العادل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

فالإسلام يرسم المثل العليا للإنسانية الراقية ويتجاذب معها إسعاد البشرية والتقدم الحضاري في ظل المناداة بالأمة الواحدة والعالم الواحد؛ حيث تعمل البشرية جمعاء في ظل عدالة متألقة وتعاون مثمر وأمن باسط ذراعيه لا تغتال فيه حرية ولا تهضم فيه حقوق ولا تنتقض معه كرامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾[2][3].

لقد أكد القرآن الكريم على ضرورة تحقيق مبدأ العدالة والمساواة في ظل استهداف إقامة مجتمع تعاوني سليم لا مكان فيه لمظاهر الأثرة والاستغلال والسخرية والكبرياء والجبرية، تقوم في رحابه جميع الضمانات المنطقية المشروعة لكي يعيش الناس عيشة راضية مكرمة بالتوسعة عليهم في مجال سعيهم، وتنمية شخصياتهم، واستثمار مواهبهم على الوجه الأكمل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[4] [5]. فهذه الآية تصور لنا عناصر العدل الاجتماعي الذي يجب أن ترسو في الأمة جذوره وتعلو مظاهره ويستقر

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

(٣) مقاصد القرآن الكريم في بناء وتنمية حضارة الإنسان "الكرامة الإنسانية نموذجًا"، دراسة تطبيقية، د. حامد محمد حامد عثمان، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، العدد: ١، المجلد: ٢، السنة: ٢٠١٧م، ص ٩٤، ٩٥.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٠.

في ضمائر الناس سلطانه وحكمه. وأكد القرآن على إقامة العدل الأخلاقي الذي ينهض حكمًا بين المرء ونفسه في معاملة الناس حتى لو كانت بينه وبينهم حزازات شخصية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ ﴾[1]، ومن هنا وفي إطار مبدأ المساواة في القيمة الإنسانية حرم الإسلام التفريق بين الناس على أساس اللون أو العرق أو اللغة، وحينما كانت قيمة الإنسان ترتبط تمامًا بمدى علاقته بخالقه ومستخلفه كانت التقوى هي المعيار للكرامة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣ ﴾[2] [3].

إن مقاصد القرآن الكريم تمثل إطارًا معرفيًّا ومنهجيًّا وسياقيًّا رحبًا لقضايا الإنسان الحضارية، تقريرًا لها بوجه إجمالي عام، وتدقيقًا لصيغ تحققها في الواقع، بمقتضى ما أضيف إلى الإنسان من مسؤولية التكليف بفهم ذلك، وتأويله، وتنزيله بحسب إمكاناته وموانعه في الحال وآفاقه في المآل،

وهذا الأمر يمثل نسق الجدلية القائمة المتجددة بين مقاصد القرآن من جهة وقيم الإنسان الحضارية من جهة ثانية، على مستوى الوعي، وترتيب الفكر، وتحقيق المعنى، وتحرير المصطلح، ومحل النزاع، وموطن الاختلاف، وعلى مستوى التمثيل في الواقع والامتثال للمنزل والتحريك للمسار والتثمير للوجود والتعميم للمصالح والمنافع [4].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٢) سورة الالحجرات، الآية: ١٣.

(٣) مقاصد القرآن الكريم في بناء وتنمية حضارة الإنسان، د.حامد محمد حامد، ص ٩٥، وما بعدها.

(٤) ينظر: مقاصد القرآن في إحياء قيم الإنسان الحضارية، د. نور الدين بن مختار الخادمي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة: ٢٣، العدد: ٨٩، ٢٠١٧م، ص١٨٨.

وللعدل أهميته البالغة في حركة الحضارة ودوران عجلتها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[1]، فالآية أرست مفهوم العدل كقيمة عظيمة في المجتمع تنبع ضرورتها في الحضارة كونها تبدد الخوف والجبن من حياة الإنسان وتفجر طاقاته الإبداعية في البناء والتشييد، كما أنها تعزز الانتماء للمجتمع والأمة، فلا أحد يخونها أو يتآمر عليها أو يعمل ضد مصالحها، وهو مطمئن إلى نيل حقوقه يعيش في ظل حضارة تنتصر للضعيف وتنتصر للمظلوم، وتأخذ على يد الظالم، فالعدل كما عرضه القرآن يسكب السكينة في النفوس ويغمر القلوب بالطمأنينة ويبعث الأمل ويحرك عجلة الحياة إلى الأمام وتمضي عجلات الحضارة في طريقها المرسوم [2].

والعدل والمساواة هي الظاهرةُ البارزةُ المميّزةُ لهذه الشريعة. وهي مناط العدل وإثبات الحق. والأخوةُ في الدين بين جميع المسلمين تمثّل وحدة، يتحد بصفة عامة فيها، الفكر والتوجّه، ويخضع كل أفرادها إلى تشريع واحد يدينون لله به. وهو تشريع لا يتأثّر بقوّة أو ضعف، يَحمِل دوماً على مراعاة هذا الأصل، وعلى نبذ كل ما عداه من أسباب المجافاة للحق التي قد تخامر العقل، أو يحمل عليها نوع من أنواع العصبيّات النسبيّة أو القبليّة. فالمساواة حقيقة أقرها المنهج الإسلامي، وفرض سلطانها، ورعايةَ المؤمنين جميعِهم لها. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥ ﴾[3].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، عمار توفيق أحمد بدوي، ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٥م، ص٤٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

والتساوي في حقوق الحياة في هذا العالم بحسب الفطرة، لا على ما يكون من تفاوت في الألوان، والصور والسلائل والأوطان. ومن أغراض هذا المقصد في أصول التشريع حقّ الوجود في حفظ النفس والنسب والمال، وحق الاستقرار في الأرض التي اكتسبها الناس أو نشأوا فيها، وحق حفظ أسباب البقاء على حالة نافعة ولا يتم هذا إلا بحفظ العقل والعرض. وقد جاء قول الله عز وجل يؤكّد هذه الحقائق، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ ﴾(١)(٢).

لذلك فقد اتفق أهل العلم والفضل على أن قوام الصفات الفاضلة هو الاعتدال، أي التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، لأن ذينك الطرفين يدعو إليهما الهوى الذي حذّرنا الله منه في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾(٣). وقوله عز من قائل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧ ﴾(٤). فإن ذلك متعلق بأهل الكتاب ابتداء، ومراد منه موعظة هذه الأمة؛ لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة وسقوطَها، فالتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط هو منبع الكمالات. وقد قال الله تعالى في وصف هذه الأمة أو وصف صدرها:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ//٢٠٠٤م، ص١٢٨/٢، ١٢٩.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾(١)(٢). ثم إن الظلم في حق العباد نوعان: نوع يحصل بغير رضا صاحبه كقتل نفسه وأخذ ماله وانتهاك عرضه ونوع يكون برضا صاحبه وهو ظلم كمعاملة الربا والميسر؛ فإن ذلك حرام لما فيه من أكل مال غيره بالباطل، وأكل المال بالباطل ظلم؛ ولو رضي به صاحبه لم يبح، ولم يخرج عن أن يكون ظلمًا، فليس كل ما طابت به نفس صاحبه يخرج عن الظلم، وليس كل ما كرهه باذله يكون ظلمًا (٣)، فصلاح حال الإنسان في العدل كما أن فساده في الظلم، وأن الله سبحانه عدله وسواه لما خلقه (٤).

فالعدل والتسوية لازم لجميع المخلوقات والمصنوعات، فمتى لم تصنع بالعدل والتسوية بين المتماثلين وقع فيها الفساد (٥) قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥ ﴾(٦)، فبين سبحانه وتعالى أنه أنزل الكتاب وأنزل العدل وما به يعرف العدل ليقوم الناس بالقسط وأنزل الحديد.

فمن خرج عن الكتاب والميزان قوتل بالحديد، فالكتاب والعدل متلازمان، والكتاب هو المبين للشرع؛ فالشرع هو العدل، والعدل هو الشرع، ومن حكم بالعدل فقد حكم بالشرع...، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، للطاهر بن عاشور، ١٨٨/٣، ١٨٩.
(٣) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٧٩/٢٠.
(٤) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ١٣٨/١٠.
(٥) مجموع الفتاوى، ١٣٥/١٦.
(٦) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ ﴾[1]، فالذي أراه الله في كتابه هو العدل [2]، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم"،

فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورًا له مرحوماً في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة [3].

والمتتبع لقصص القرآن يلاحظ بوضوح أنها حقائق تاريخية منتقيات، لما فيها من عبر وعظات، ولما فيها من بيان لظاهرات الاجتماع البشري، في مجال السلوك الإرادي الإنساني، مقابل كون البشر موضوعين في الحياة الدنيا موضع الامتحان، ولما فيها من دلالات واضحات على سنة الله الثابتة في العدل والجزاء، ضمن ظروف الابتلاء، وهذه السنة لا تبديل لها ولا تحويل [4].

قال الإمام ابن القيم في عبارة له صارت شهيرة، وغدتْ عَلَمًا يُهتدَى به: "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٥.
(٢) مجموع الفتاوى، ٣٥/٣٦٦.
(٣) مجموع الفتاوى، ٢٨/١٤٦.
(٤) السابق، ص٥٢٤، ٥٢٥.

عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون وحياة القلوب ولذة الأرواح"(١).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، ٣٣٧/٤.

المبحث الثاني: أثر قيمة العدل في بناء الإنسان وحفظ إنسانيته

إن الحضارة هي ثمرة التفاعل بين عناصر ثلاثة: الإنسان والكون والمنهج، فالإنسان هو اللبنة الأساسية والدعامة الرئيسية في البناء الحضاري، والكون الذي سخره الله للإنسان بما فيه من كنوز وذخائر وثروات وطاقات، والمنهج الذي يسلكه الإنسان ليبني حضارته ويحميها. وعناية القرآن الكريم بالإنسان عناية وافية، يشمل جميع مراحل حياته، ويبين له منهجه في الحياة، وعلاقته مع الكون، فمهمة الإنسان وغايته ومحور وجوده هو عبادة الله وحده، والقيام بحقّ الخلافة في الأرض، بتعميرها وإصلاحها وإقامة موازين العدل وأركان الرحمة في أرجائها، والمحافظة على مواردها وحسن استغلالها، ورعاية البيئة وحمايتها، وهذه المسئولية يتحمّلها كلّ إنسانٍ مكلفٍ، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٦٥ ﴾[1]. فالقرآن ليس دستورًا يحكم النّاس، وينظّم حياتهم وعلاقاتهم فحسب، بل هو زادٌ روحيٌّ، وغذاءٌ ربّانيٌّ، وقبسٌ نورانيٌّ، ودواءٌ ناجعٌ لكلّ الأدواء تزكو به النّفوس، وتطمئن القلوب، وتسمو الأرواح، وتنشرح الصّدور، وتجلو الأفهام، وتتوقّد القرائح، يقدح زناد الفكر، ويوقظ الهمم، ويثير العقول، ويرقّق المشاعر، ويليّن القلوب، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾[2].

والحقوق في الإسلام منحة ربانية، ليست من وضع بشر ولا تفضلاً من أحد، والناس في المجتمع المسلم ليسوا في حاجة للكفاح والثورات من أجل البحث عن حقوقهم، بل إنها حقوق دعت إليها الشريعة وقررتها، حقوق

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

تتناسب مع الفطرة، حقوق متوازنة تحقق العدالة والخير للجميع، ومن العدالة عدالة الحاكم وعدالة الفرد العادي، فالحاكم عليه أن يبحث عن الحقوق الضائعة ويعطيها أهلها ويأخذ من الظالم ويعطي المظلوم حقه، ثم عليه أن يكافئ الناس على حسب أعمالهم وجهودهم، وهذا هو عدل الحاكم بين الناس، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾[1]، وفي آية أخرى وصف هؤلاء الذين لا يحكمون بما أنزل الله بالكفر وفي الثانية بالفسق، وفي الثالثة بالظلم، وأما عدالة الفرد العادي فهي إعطاء ما لغيره عليه، وأن يقول الحق إذا حكم أو طلب منه الشهادة أو أراد الإصلاح، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ ﴾ [2]، والعدالة تقتضي الأمانة والنزاهة والإخلاص، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣ ﴾[3]، وهكذا يأمر الله بالعدالة كل إنسان في فعله وقوله بحسب مسئوليته ومجال إدارته، حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[4].

وذلك كله لتسود العدالة المجتمع كله، ولا شك في أن كل إنسان إذا طبق العدالة في نفسه وفي غيره، وإذا نفذ الحاكم العدالة بالسلطة فلا بد من أن تسود العدالة حياة المجتمع، وسيادة العدالة حياة المجتمع تؤدي إلى سيادة الأمن والمحبة والمودة والاستقرار والنشاط العملي والفكري في حياة المجتمع، وهذا

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.
(٤) سورة النحل، الآية: ٩٠.

بدوره يؤدي إلى ازدهار الحياة المدنية، وانعدام العدالة يؤدي إلى انتشار الرعب والحقد والاضطرابات والتناحر وقلة الإنتاج، يقول الماوردي: "إن العدل الشامل يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة وتنمو به الأموال ويكثر معه النسل ويأمن به السلطان، وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور"، ولهذا أمر الله بالعدالة فقال: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ ﴾[1].

ولقد بين ابن خلدون كيف أن ضياع العدالة وانتشار الجور والظلم يؤديان إلى فساد الحياة وخراب العمران، فيقول: "اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، لما يرون حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب.. والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال فإذا قعد الناس عن المعاش كسدت أسواق العمران وانقضت الأحوال وذعر الناس في الآفاق.. في طلب الرزق فخف ساكن القطر وخلت دياره وخربت أمصاره واختل باختلاله حال الدولة، ومن أشد الظلمات وأعظمها في إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق، وذلك أن الأعمال من قبيل المتمولات، وأعظم من ذلك في الظلم وإفساد العمران وفساد الدولة، التسلط على أموال الناس بشراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان ثم فرض البضائع عليها بأبخس الأثمان على وجه الغصب والإكراه في الشراء والبيع" [2]،

فالعدل ليس صفة كمالية أو ترفاً حضارياً، وإنما هو فريضة ربانية ومطلب بشري، لذلك جاءت الرسالات كلها تأمر الناس بالقسط، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون، فصل:٤٣، ص٢٤٠.

بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾﴾[1]. ومن الحكم المشهورة: العدل ليس في نص القانون، وإنما هو في ضمير القاضي.

فالعدل قانون عام جامع تنتظم تحته الكونيات والشرعيات المخلوقات والمأمورات، وله تعالى الخلق والأمر وقد دل استقراء الكون والشرع، وهما الحقان الموجود والمقصود أن الله سبحانه وتعالى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وأنه أنزل الكتاب والميزان؛ ليقوم الناس بالعدل؛ فيضعوا كل شيء في مكانه المناسب، ولكن كلف العباد بالعدل الأمثل إذا عجزوا عن العدل الأتم، والله تعالى أمر عباده بالإحكام والإتقان بحسب الطاقة والإمكان [2].

إن أمة الإسلام هي أمة العدل والخيار، فهي أمة الوسطية والشهادة بما حباها الله تعالى من حراسة للقيم والفضائل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[3]. والغاية من الشهادة أن تكون موصلة لتحقيق العدل، وذلك بأن تلتزم الحق في تبليغ العلم المشهود به، لا تميل عنه إلى هذا الطرف أو ذاك من المشهود لهم أو عليهم، وهذا المعنى جاء متضمنًا في مبدأ الشهادة على الناس معلمًا من المعالم المنهجية للحضارة الإسلامية، وذلك على معنى أن هذه الحضارة وجهت في مرجعيتها الدينية نحو أن تكون حضارة وسطية تتجافى في التبليغ عن الميل بالإنسان إلى تطرفات ذات اليمين أو ذات الشمال من شأنها أن ترهق كيانه الفردي أو الاجتماعي ونحو أن تكون حضارة تحكم بين الناس بالقسط دون خضوع لميل الأهواء أو نزوع للسطوة والمحاباة والظلم والاستبداد.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) مقصد العدل عند ابن تيمية، العدل الديني والدنيوي في النص والواقع، د. شعيب أحمد لمدى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص٢٢.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ١٤٣.

وأما شهادة العدل بالقسط بين الناس فتظهر فيما وجهت إليه الحضارة الإسلامية من القيام في بني الإنسان مقام الحكم بالمساواة في الحقوق والواجبات دون اعتبار لعوارض الإنسانية من لون أو جنس أو حسب أو طبقة أو غيرها، فصاحب الحق ينبغي أن يعطى حقه ولو كان عدوا، ولا يجرمنكم..، ومن ترتب عليه واجب يجب أ، يؤديه ولو كان ذلك معاكسًا لهواه، فهذه كلها مظاهر لشهادة حضارية على الناس بالعدل في المعاملة تنضم إلى تلك الشهادة بالوسطية في القيم والمبادئ التي تحكم الحياة الفردية والجماعية.

فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام؛ فيؤدي كل والٍ ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى وولاية القضاء، ونواب الخليفة، ونواب القاضي، والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعامل الناس في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقًّا ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم، فالعدل واجب والإحسان فضيلة، وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم وغير ذلك من انواع النفع حتى انه يدخل فيه الاحسان الى الحيوان البهيم المأكول وغيره (١).

والظلم إيذانٌ من الله تعالى بانهدام هذه الحضارة المادية الظالم أهلها، الذين أفادوا منها في البغي والظلم ونشر الفساد في الأرض، ولم ينتفعوا منها في إقامة العدل ورفع راية الحق، بل فرحوا بما أوتوا من العلم وظنوا أنهم تمكنوا من السيطرة على تقلبات الظواهر الطبيعية والكونية، فهنالك يأذن الله تعالى بوضع

(١) من القيم الحضارية دراسة في ضوء القرآن الكريم، د. حسن بن ناجع العجمي، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، العدد: ٢٥، سبتمبر، ٢٠٢٢م، ص ١٧٠، وما بعدها.

حدّ لهذا الكبر والغرور، إذ لا يليق الكبر إلا بالله العظيم، فهو الجبار المتكبر وحده لا شريك له [١]. وقد وضع الله تعالى قوانين العدل وموازين القسط في كل علاقة بين الإنسان والإنسان ولم يترك هذا للاجتهاد الشخصي، بل أقام الحقوق والواجبات في كل عقد شرعي كما يحتاجه الناس في حياتهم، كعقود البيع والإجارة والزواج والبيعة وغير ذلك، فالمقصد الشرعي من هذا التوجيه والأمر الرباني هو إلزام الحاكم والقاضي بالعدالة والتسوية بين الخصوم ووضع الظلم وليس الأمر لإقامة العدل رفع الظلم عن المسلم فقط، بل إن الأمر يتعدى إلى غير المسلم [٢].

لقد ألزمت الحضارة الإسلامية قادة المسلمين وحكامهم وقضاتهم من مراعاة العدل في المعاملة بين المسلمين، دون تمييز بين عناصرهم وفئاتهم وطبقاتهم وقومياتهم، ودون تمييز بين من يحبون ومن يكرهون من الناس، وفيما ألزمت به جميع المسلمين من التقييد بحقوق التسوية ضمن إطار العدل بين عناصر المسلمين وفئاتهم وطبقاتهم وقومياتهم أيضًا، حيث تقرر أسس الحضارة الإسلامية أن الناس في حق الحياة سواء، فلا تهدر دماؤهم إلا بأمر من واهب الحياة، وخالق الأرض والسماوات، أو إذن منه.لقد أكد الله تعالى على معنى العدل في آيات كثيرة بالقرآن الكريم، ومن ذلك بقوله تعالى في ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ ﴾[٣].

(١) التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين – الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة –على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، الأستاذ الدكتور مأمون حموش، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م، ٦٢٨/٣، ٦٢٩.

(٢) العدل في الإسلام رؤية تأصيلية مقارنة بالقانون الوضعي، د. عبد العظيم رمضان عبد الصادق، ص١٩٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨.

وفي هذا النص يأمر الله تعالى الذين آمنوا بأن يكونوا قوامين لله، أي: لا لأنفسهم وأهوائهم وشهواتهم، فهم منفذون أحكام الله ضمن حدود شريعته، وأي إخلال في ذلك أو تلاعب إنما هو خيانة للأمانة التي حملوها، ولا يتم كونهم قوامين لله ما لم يتقيدوا بأحكام شريعة الله ولو على أنفسهم وأهليهم وذوي قرابتهم، وذلك يتطلب من الشهداء أن يكونوا شهداء بالقسط، والقسط هو العدل المعتمد على الحق، ثم يناههم الله عن أن يحملهم البغض بينهم وبين قوم آخرين على مجانبة سبيل العدل معهم في الحكم والقضاء أو في الشهادات، وهذا ما تضمنه قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ (١).

أي: ولا يحملنكم بغضكم الهائج ضد قوم على ألا تعدلوا معهم، وتدعيمًا لهذا المبدأ الذي تشتمل عليه أسس الحضارة الإسلامية.

وفي مجال تبادل المسلمين مظاهر الإخاء الإيماني، والبعد عن كل مظهر من مظاهر تعالي بعضهم على بعض يأمر الله تعالى أن يكرم المسلم أخاه المسلم فيرد تحيته بأحسن منها، أو بمثلها مهما كانت الفوارق بينهما، وينهى عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، مهما وجدت دواعي ذلك، قال تعالى في سورة "النساء: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾(٢).وقال تعالى في سورة "الحجرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾(٣). فقد جعل الله في هذه الآية السخرية واللمز والتنابز بالألقاب من الفسوق، الذي يطلق على مرتكب هذه

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٦.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١١.

المنكرات في شريعة الله، وبئس هذا الاسم بعد الإيمان الذي تجمل الإنسان المسلم باسمه، فأطلق عليه أنه مؤمن؛ إذ كان في زمرة المؤمنين وفي قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ تعبير رائع يشير إلى أن المسلمين كلهم بمثابة أنفس واحدة، فمن لمز أخاه فقد لمز نفسه وبهذا نلاحظ مبلغ الرقي العظيم الذي تتصف به أسس الحضارة الإسلامية في بنائها الفكري المجيد، كما يتجلى الاتجاه الإنساني غير المحدود بحدود أية دائرة من الدوائر ذات الخصائص الأنانية لدى دراسة أسس الإسلام، ومبادئه، وأحكامه، ونظمه وسائر تعاليمه المختلفة، يتجلى تطبيق هذا الاتجاه بشكل عملي لدى دراسة المجتمع الإسلامي الأول، الذي كان خاضعًا للتوجيه الدقيق، والقيادة المثلى، من قبل الرسول صلوات الله عليه، فلقد كان في سيرته وقيادته وأخلاقه وكل تصرفاته صورة عملية حية للرسالة الإسلامية، التي اصطفاها الله للناس جميعًا .

والمجتمع الإسلامي هو مجتمع إنساني؛ يدعو إلى الروابط الإنسانية بين الأفراد في الدرجة الأولى، كما يدعو إلى تبادل المصالح المادية، ولكن في محيط العلاقات الإنسانية، وإن التشريع المدني للعلاقات بين الأفراد في الأمة يقوم على أساس أن الروابط بين بعضهم بعضا هي روابط إنسانية.. أي يحكمها المستوى الإنساني بخصائصه المميزة: فوق الأسرة والقبيلة والشعب والعرق أو الأصل، وأساس الروابط الإنسانية في رسالة القرآن هو الإيمان بالله وحده؛ لأن الإيمان بالله وحده ينطوي على الإيمان بالقيم العليا أو المثل الرفيعة التي تحدد صفات الله سبحانه، والتي يسعى العابد إلى الاقتراب منها بعبادته.

فالشرع مجمع العدالة وبه تعرف حقائقها، ولو توهمناه مرتفعًا لكان يؤدي إلى أن لا يكون عدل على الحقيقة في شيء من جزئيات الأفعال، ولا يكون في كثير من كلياتها،

فالعدل المحمود هو الذي يتحرى فعله لا رياء ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة وإنما

يكون تحريًا للحق عن سجية [1].

وقال يحي بن معاذ: اصحبوا الناس بالفضل لا بالعدل فمع العدل الاستقصاء، ومع الفضل الاستبقاء وإني لأرجو أن يحاسب الله تعالى عباده بالفضل لا بالعدل، وقد أمرهم أن يصاحب بعضهم بعضًا بالفضل، وقد عظم الله تعالى أمر الإحسان والإفضال فقال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [2][3].

والعدالة وسط بين الظلم والإنظلام، أما الظلم فهو التوصل إلى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي كما لا ينبغي. وأما الإنظلام فهو الإستحذاء والإستماتة في المقتنيات لمن لا ينبغي وكما لا ينبغي. ولذلك يكون للجائر أموال كثيرة؛ لأنه يتوصل إليها من حيث لا يجب ووجوه التوصل إليها كثيرة. وأما المنظلم فمقتنياته وأمواله يسيرة جدا لأنه يتركها من حيث لا يجب، وأما العادل فهو في الوسط لأنه يقتني الأموال من حيث يجب. ويتركها من حث لا يجب. فالعدالة فضيلة ينصف بها الإنسان من نفسه ومن غيره من غير أن يعطي نفسه من النافع أكثر وغيره أقل، وأما في الضار فبالعكس وهو أن لا يعطي نفسه أقل وغيره أكثر (٤).

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٥١.
(٢) سورة يونس، الآية: ٢٦.
(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٥٣.
(٤) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه، مرجع سابق، ص٣٧.

المبحث الثالث: أثر غياب قيمة العدل في حياة الإنسان، من خلال الهدي القرآني

من المؤكد أن الخلل يكمن في الإنسان، وكما أنه مَكْمَن الخلل فإنه مَعقَد الرجاء، ذلك أنه أساس التغيير دائمًا مهما كان نوع التغيير، وذلك وفق القاعدة القرآنية التي تقول: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١ ﴾[1]. ويبدو أن أوجُهَ الخَلَل ثاوية في بُنية الإنسان المسلم كما نراه في عصرنا، فهو شخص في الغالب يفتقد لروح المبادرة والمبادأة، ويفتقد لبوصلة الفكر الراشد، حيث تقوده رياح الانفعالات بعيدًا عن ميادين صناعة الفاعلية، فهل يمكن للمرء أن يعتلي آفاق الترقي الحضاري دون أن يمتلك أجنحة الترقي الأخلاقي؟ بالتأكيد لا، فالأخلاق مهمة وضرورية في تحقيق العروج الحضاري؛ ولذلك فقد احتلت مكانة شديدة الأهمية في المنظومة الإسلامية للنهوض الحضاري، وإذا كان الإسلام دوحة عظيمة وخميلة مثمرة فإن الأخلاق هي ثمارها المتدلّية والمعاملات هي قطوفها الدانية، ولما كانت هذه الثمار تتدلّى للناس حتى يقطفوها فإنها تُدْني المسلم من الله بقدر دُنُوِّه من النا"، غير أن الأمية الفكرية التي أصابت المسلمين عند الابتعاد عن تدبر قرآنهم سبّبت لهم الكثير من المشاكل ومنها ضيق دائرة الوعي والتي انعكست بدورها على ضيق دائرة الأخلاق والقيم، حتى أن معظم الأخلاق الاجتماعية خرجت من دائرة أخلاق المسلم؛ مما غيّب أخلاق العدل والحرية والتعاون والمساواة والنظام والوحدة عن حياة أغلب المسلمين.

ومن المعلوم أن الأخلاق تقوم بدور أساسي في أنْسَنة البشر والارتقاء بهم من طبائع التراب إلى أخلاق الروح، وعندما درس باحث آخر عوامل سقوط

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

الحضارات وجد أنها أربعة عوامل، ومنها ما سماها ب "التحرر الخلقي والسلوكي، ويقصد به الانفلات الذي لا يقيم وزنًا للقيم الأخلاقية والاستقامة السلوكية. ويقرر د. البوطي أن "الأخلاق وحدها هي التي تُحيي بين الإنسان وأخيه الإنسان آصرة التعاون الحقيقي البناء، وهي التي تنقل الإنسان من ساحة العلم إلى نطاق العمل به، ثم إلى اتباع الوجه الأسلم في الاستفادة من ذلك العمل، ومن ثم فإن التخلف الذي حاق بأمتنا العربية والإسلامية، أنها لم تعد تمتلك أخلاقًا اجتماعية ينهض عليها بنيان التقدم الحضاري [١].

إن الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة المراعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال فلما كان الظلم كما رأيت مؤذنا بانقطاع النوع لما أدى إليه من تخريب العمران كانت حكمة الخطر فيه موجوده فكان تحريمه مهما واحالته من القرآن والسنة كثيرة أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر [٢]؛

حيث لا تقوم حضارة من دون قائمة العدالة، لأن فقدانها يعني الفصل بين الفكرة والمصلحة، وتحطيم الرابطة العصبية، وتحويل الفكرة إلى شعارات مجردة ليس لها من الواقع رصيد، فالله – كما يُروى – ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة!! إن الظلم مؤذن بتعطيل الفكرة وإفلاسها الحضاري [٣].

ففي الأمة الإسلامية سر بقائها ودليل حيويتها، إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعا، فتقيم فيهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم،

(١) الحضارة الإسلامية، د. عبد الله محمد الأمين، ٧٥ – ٨٠.
(٢) مقدمة ابن خلدون، ص٢٨٨.
(٣) على عتبات الحضارة – بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيار، بتول أحمد جندية، الناشر: دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ //٢٠١١م، ص٣٧، ٣٨.

وتبدي فيهم رأيها.. فيكون هو الرأي المعتمد، وتزن قيمهم، وتصوراتهم وتقاليدهم، وشعاراتهم. فتفصل في أمرها، وتقول: هذا حق منها، وهذا باطل.. لا التي تتلقى من الناس تصوراتها، وقيمها، وموازينها وهي شهيدة على الناس، وفي مقام الحكم العدل بينهم. وبينما هي تشهد على الناس هكذا، فإن الرسول هو الذي يشهد عليها، فيقرر موازينها وقيمها، ويحكم على أعمالها وتقاليدها، ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيه الكلمة الأخيرة.. وبهذا تتحقق حقيقة هذه الأمة، ووظيفتها، لتعرف وتشعر بضخامتها ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له استعدادا لائقا.. وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط. سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي ؛ لذلك أمر الله تعالى بالإصلاح، ونهى عن الإفساد في الأرض، فقال: (ولاتفسدوا)؛ لأن الفساد ينشأ منه الهَرْج والمرْج، فينقطع خيط الإطاعة، فيتشوش نظام العدالة، فتنحلّ رابطة الاتفاق، فيتولد منه الفساد، فلا تفعلوا لئلا تفسدوا [١].

ولا ارتياب في أن للعدل دورًا حيويًّا في حياة الفرد والمجتمع، وفي العمران الحضاري، فالعدل من أهم العوامل الحضارية التي يحدث الشهود الحضاري عند الأقوام المتحضرة، والشعوب المتمدنة، على تراخي العصور، وله دور بارز في تأسيس وحدة الشعوب وإنشاء مستقبل أفضل لها، وإعادة الثقة بالنفس، كذلك يسد العدل الفجوة بين الدولة والشعب، فهو سبب رئيس في بناء الحضارة والعمران، ذلك أن عدالة أولياء الأمور في أحكامهم وأقضيتهم وتوزيع الثروات مفضية إلى تأسيس الحضارة الإنسانية الراقية [٢].

---

(١) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، المحقق: إحسان قاسم الصالحي، الناشر: شركة سوزلر للنشر – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٢م، ص٩٩.

(٢) مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران، دراسة تحليلية تقويمية، د. أردوان مصطفى إسماعيل المزوري، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، السنة: ٩، العدد: ١٨، يوليو ٢٠١٨م، ص ١٤٧.

إن من أكبر المعوقات التي تعوق وتعرقل طمأنينة المجتمع وأمنه واستقراره ترك الساسة لتطبيق العدالة والمساواة بين الناس وعدم منحهم الحريات الضرورية لحياة طيبة للناس، لأنه إذا ترك المساراة بين الناس سواء من مؤسسات القضاء في قضائها وقراراتها أو من الكوادر السياسية والإدارية في إعطاء الحقوق لجميع المواطنين بغض النظر عن لغتهم وجنسياتهم ومعتقداتهم وسائر ما لهم من الحقوق أو من أجهزة الدولة الأخرى في إعطاء الفرص بدرجات متساوية للمواطنين في الارتفاق بإمكانيات الدولة على حد سواء أو في غيرها فإذا ترك المساواة بين الناس فيما ذكرنا استحالت العدالة اختل توازن المجتمع [١].

والآيات القرآنية الآمرة بالعدل تجسدت ممارسات في الواقع تدلل كلها على عمق تغلغل مدلول العدل في الشريعة وضرورته في بناء الحضارة، وأي حضارة مهما زهت وتبرجت أشكالها إن لم تقم على العدل أو لم تنشر ألوية العدل فسيلعنها الناس، فما فائدة طلاء خلاب وفعل كوحوش الغاب، وهل تظلم البشر اليوم من شيء تظلمهم من الحضارة المادية الواهية في مظاهرها والظالمة في أفعالها فأذاقت المستضعفين الويل والثبور [٢].

وقد جاء الإسلام الحنيف وفي جوهر مقاصده بقاء الإنسان ناهضاً بتبعاته يسعد بحياة آمنة لا يرى فيها ظلماً ولا هضماً.

"فالعدالة والإنصاف والقسطاس سمة الحياة في الإسلام، والاستقامة ورعاية الحقوق وأداء الواجبات هي الأمل والعمل والسبيل والهدف، وإن الإنسانية في مسيرتها عبر التاريخ في الزمان والمكان لم تعرف دعوة إلى العدل كما عرفتها في ظل الإسلام ليستقر المجتمع الدولي ويعيش في أمن وأمان، فعندما تحدثت الآيات القرآنية عن العلاقات الاجتماعية إنما كانت تتحدث عن مناهج ونظم

(١) السابق، ص ١٥٠.

(٢) مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، عمار توفيق أحمد بدوي، ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٥م، ص٤٩.

تحكم حياة الأمم والشعوب فيما بينها وعلاقاتها مع غيرها من الأمم والشعوب الأخرى، فقد وضع المنهج القرآني في تنظيمه للحياة القوانين والقواعد التي تحكم علاقات الأفراد بعضهم ببعض وعلاقات المجتمعات فيما بينها ونظمت طريقة المعاملات المالية والاقتصادية بين تلك الشعوب [١].

(١) انظر: مفهوم العدل في الإسلام: مجيد خدوري، مرجع سابق، ص١٣١.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعان ويسر، وتكرم وتفضل، والصلاة والسلام على النبي محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد،

فقد يسر الله تعالى بإتمام هذا البحث، **وقد خرجت منه بالنتائج والتوصيات التالية:**

أولًا: أجمعت عقول الأولين وتجاربهم على أن العدل أساس الملك، والعدل يكون بإعطاء كل ذي حق حقه، دون وكس ولا شطط، وهو من مبادئ الإسلام الدستورية العامة، ومن أخلاقه وقيمه الحضارية الخالدة.

ثانيًا: القرآن يحوي بين دفتيه قوانين التغيير وسنن الإصلاح، ومقومات النصر، وهي قواعد مطلقة عن قيد الزمان والمكان والأشخاص، ومطردة في كل حال، وتصدق على كل الأجيال والأجناس والأوطان.

ثالثًا: حرص الإسلام على أن يسود العدل بين جميع الناس، وحذر من الظلم وعواقبه، حتى مع غير المسلمين، ومن الطبيعي أن يكون دين الله العادل هو العدل، والله تعالى من أسمائه العدل، ولا يحب الظلم ولا يرضاه.

رابعًا: العدل أساس الملك ونبراس التقدم والازدهار والنهوض الحضارة وسياجها وتاجها، فلا يمكن أن نتصور حضارة بدون عدل، ولا تنهض الأمم إلا بإقامة العدل، ولا تحرس المدائن والحواضر والقرى والبوادي إلا بالعدل.

خامسًا: نظام البيعة للحاكم في الدولة الإسلامية فإنه يعبر عن عقد يلتزم فيه الحاكم بإقامة العدل بين الرعية وفق شريعة الله تعالى، وبذلك جاء الأمر الرباني للحكام بان يحكموا بين الناس بالعدل، بغض النظر عن دينهم.

سادسًا: العدل يحافظ على إنسانية الإنسان وكرامته، وقد أجمعت الشرائع السماوية على وجوب إقامة العدل، فعلى الحاكم وأتباعه التزام العدل؛ حتى تصل الحقوق لأهلها، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الأمر بالعدل.

سابعًا: العدل هو الحق والصواب الموافق للواقع، وهو إعطاء الحق إلى صاحبه. وهو الأصل الجامع للحقوق الراجعة إلى الضروري والحاجي من الحقوق الذاتية وحقوق المعاملات؛ إذ المسلم مأمور بالعدل في ذاته، ومأمور بالعدل في المعاملة مع غيره، ولو لم يكن مسلمًا.

التوصيات:

أولًا: دراسة العدل مقصدًا من مقاصد التشريع، فالعدل مبدأ أصيل في التشريع الإسلامي، ومقصد قرآنيّ عظيم.

ثانيًا: دراسة أثر العدل في بناء الحضارات، وأثر الظلم في هدم المدن وانتكاس الشعوب، في ضوء الواقع المعاصر.

ثالثًا: على الدعاة والمربين بيان أثر العدل في سلامة الإنسان في دنياه وآخرته، وبيان عاقبة الظلم، وأثره في فساد جنيا الإنسان وآخرته، وأنه لا يهلك الحرث والنسل.

رابعًا: عمل دراسات موضوعية موسعة عن موضوع العدل في القرآن والسنة، مع ربط هذه الدراسة بالواقع، وإظهار الأثر القرآني في سنة الله تعالى مع أهل العدل وأهل الظلم، مع استخلاص الدروس والعبر منها.

خامسًا: عمل كتيبات دعوية عن العدل قيمة حضارية في الإسلام، ونشره على أوسع نطاق.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٢. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، المحقق: إحسان قاسم الصالحي، الناشر: شركة سوزلر للنشر – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٢م.

٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين: ٣/٣. تحقيق : طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل – بيروت، ١٩٧٣م.

٤. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ// ١٩٧٩م.

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٦. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٧. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ // ٢٠٠٣م.

٨. التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين – الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة –على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، الأستاذ الدكتور مأمون حموش، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.

٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ//١٩٩١م.
١٠. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.
١١. الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ//٢٠٠٧م.
١٢. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨ هـ)، المحقق: علي بن محمد العمران، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير – جديع بن محمد الجديع، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠هـ//٢٠١٩م.
١٣. الشباب بين الأمية الفكرية والمسؤولية الاجتماعية، د. فؤاد البنا، ط١، تعز، اليمن: منتدى الفكر الإسلامي، ١٤٣٤هـ// ٢٠١٣م.
١٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ// ١٩٨٧م.
١٥. العدل في الإسلام رؤية تأصيلية مقارنة بالقانون الوضعي، عبد العظيم رمضان عبد الصادق، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد: ٢٣، ١٤٣٢هـ.
١٦. العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٤م.
١٧. المجتمع الإسلامي في ظل العدالة، د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.
١٨. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ//١٩٨٧م.

١٩. الوجوه والنظائر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ // ٢٠٠٧م.
٢٠. بدائع الفوائد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١ هـ)، المحقق: علي بن محمّد العمران، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير (جـ ١ – ٥)، محمد أجمل الإصلاحي (جـ ١ – ٢)، جديع بن محمد الجديع (جـ ١ – ٥)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، ١٤٤٠هـ // ٢٠١٩م.
٢١. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
٢٢. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ١٩٨٣م.
٢٣. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، د.ت.
٢٤. علم الأخلاق الإسلامية، لمقداد يالجن محمد علي، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ//٢٠٠٣م.
٢٥. على عتبات الحضارة – بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيار، بتول أحمد جندية، الناشر: دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ //٢٠١١م.
٢٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٧. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، وساعده: ابنه محمد وفقه الله، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة، السعودية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.
٢٨. مخطوطة الجمل – معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨م.
٢٩. معالم المنهج الحضاري في الإسلام، د. عبد المجيد النجار، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد: ٢٥، ١٤٣١هـ//٢٠١٠م.
٣٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ//١٩٧٩م.
٣١. معين القضاة لتحقيق العدل والمساواة، مصطفى إبراهيم الزلمي، إحسان للنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٣٥هـ//٢٠١٤م.
٣٢. مفهوم العدل في الإسلام، مجيد خدوري، دراسات في الفكر الديني، دمشق، ١٩٩٨م.
٣٣. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ//٢٠٠٤م.
٣٤. مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران، دراسة تحليلية تقويمية، د. أردوان مصطفى إسماعيل المزوري، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، السنة: ٩، العدد: ١٨، يوليو ٢٠١٨م.
٣٥. مقاصد القرآن الكريم في بناء وتنمية حضارة الإنسان "الكرامة الإنسانية نموذجًا"، دراسة تطبيقية، د. حامد محمد حامد عثمان، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، العدد: ١، المجلد: ٢، السنة: ٢٠١٧م.